ضياء الدين المقدسي

وجهوده في الكتابة التاريخية

(٥٦٩ ـ ٦٤٣هـ/١١٧٢ ـ ١٢٤٥م)

إعداد

د/ أسماء جلال صالح

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الدراسات الإنسانية - تفهنا الأشراف

جامعة الأزهر

ضياء الدين المقدسي وجهوده في الكتابة التاريخية

(٥٦٩ . ٦٤٣هـ/١١٧٢. ١٢٤٥م)

أسماء جلال صالح

قسم التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات الإنسانية – تفهنا الأشراف، جامعة الأزهر، مصر.

الإيميل:asmaa.jalal153@yahoo.com

الملخص :

ضياء الدين المقدسي (٥٦٩ – ٦٤٣ هـ / ١١٧٤ – ١٢٤٥ م)، المحدث والفقيه والمؤرخ، ينتمي لأسرة اشتهرت بنشر العلم والعناية به، وهو صاحب "مدرسة الحديث الضيائية" بدمشق، قدم الضياء نموذج للعالم المجاهد في سبيل الله، وشارك مع عدد من أسرته صلاح الدين في استرداد بيت المقدس من الصليبيين.

تسلط هذه الدراسة الضوء على ضياء الدين المقدسي بوصف كونه مؤرخاً، وذلك بما قدمه لنا من كتابات عن تاريخ هجرة المقدسيين إلى دمشق هرباً من ظلم الصليبيين، كما سجل تراجمهم أيضاً.

ومن خلال هذه الدراسة نلقي الضوء على حياة ضياء الدين المقدسي العلمية، ورحلاته وشيوخه ومؤلفاته، والموارد التي اعتمد عليها في الكتابة التاريخية ومنهجه في الكتابة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة الضيائية– صلاح الدين – نور الدين محمود– هجرة المقدسيين– الصالحية– المدرسة العمرية.

Dia Al-Din Al-Maqdisi And his efforts in historical writing. (569-643 AH / 1174-1245 AD)

Asma Jalal Saleh

Department of Islamic History, Faculty of Humanities - Tafaana Al-Ashraf, Al-Azhar University, Egypt.

Email:asmaa.jalal153@yahoo.com

Abstract:

Dia Al-Din Al-Maqdisi (569-643 AH / 1174-1245 AD), A scholar of the hadiths of the Prophet, scholar in Islamic jurisprudence and historian, belongs to a family famous for spreading knowledge and taking care of it Al-Diaa presented a model to the world who fought in the cause of God, and participated with a number of his family, Saladin, in reclaiming Jerusalem from the Crusaders. This study sheds light on Dia Al-Din Al-Maqdisi as a historian, with his writings on the history of the migration of Jerusalemites to Damascus to escape the oppression of the Crusaders, and he also recorded their life history. Through this study, we shed light on Dia al-Din al-Maqdisi's scientific life, his travels, his teachers, his writings, and the resources he relied on in his historical writing...

Keywords: Al-Diyaya School - Salah Al-Din - Nour Al-Din Mahmoud - Migration of Jerusalemites - Al-Salihiya - Al-Omariya School.

المقدمة..

اللهم لك الحمد، حمداً يكافئ نعمك ويوافي عطاءك، والصلاة والسلام التامان الأكملان على نبينا محمد، الرحمة المهداة والسراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين. أما بعد...

أبو عبد الله ضياء الدين المقدسي (٥٦٩ - ٦٤٣ هـ / ١١٧٤ - ١٢٤٥ م)، من العلماء الأفذاذ والمجاهدين الذين تركوا أعمالاً دلت على مكانتهم العلمية، فقد جمع الضياء بين كونه المحدث الحافظ المسند، والفقيه المتميز، والمؤرخ الجامع لتاريخ أهله من المقادسة، وتاريخ رجال الحديث، وله أكثر من مائة مؤلف ما بين الحديث وعلومه، والتاريخ والتراجم، قد أثرت المكتبة الإسلامية، ولهذا أردت تتبع سيرة هذا العالم والمؤرخ، وإلقاء الضوء على منهجه في الكتابة التاريخية.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وتناولت في المقدمة الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ثم عرضت لخطة الدراسة، وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

وقد جاء <u>المبحث الأول</u> بعنوان: الضياء المقدسي النشأة والحياة العلمية، تناولت فيه التعريف باسمه ونسبه، وأسرته، ونشأته العلمية، ورحلاته، وشيوخه، وموارده العلمية، كالرواية الشفهية، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، أو السماع والقراءة على الشيوخ، وجهاده في سبيل الله. وجاء <u>المبحث الثاني</u> بعنوان: حياته العلمية وتراثه، وتناولت فيه مكانة الضياء العلمية، ودار الحديث الضيائية، ومؤلفاته، وتلاميذه، ووفاته.

أما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن منهج الضياء في الكتابة التاريخية، وتناولت فيه المنهج الذي سار عليه في صياغة مؤلفاته وتوثيق الروايات.

وختاماً...فهذا جهدي، وهو جهد المقل، والخطأ وعدم الكمال من صفات البشر، والكمال لله وحده، فإن كنت قد أصبت فمن الله –عز وجل– وإن كنت أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يمدنا بعونه، وأن يمنحنا التوفيق والسداد، ويهدينا إلى صراطه المستقيم، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. الباحثة...

(التمهيد)

عاش الضياء المقدسي في الفترة من (٥٦٩- ٦٤٣هـ/١١٧٣-١٢٤٥م)، وهي الفترة التي حكمت فيها الدولة الأيوبية مصر وبلاد الشام (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) ورفعت راية الجهاد، والتصدي للحملات الصليبية على مصر والشام، ودحر الصليبيين من حدودها، وقد تمكن صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ - ٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م)، على إثر حملاته العسكرية المتتالية، من تحرير بيت المقدس بعد انتصار المسلمين في حطين عام(٥٨٣هـ/١١٨٧م) (١)

والضياء المقدسي ينتمي إلى أسرة علمية مجاهدة في سبيل الله، شاركت في أعمال الجهاد مع نور الدين محمود، وصلاح الدين، وقد ظهر من هذه الأسرة عشرات، بل مئات الحفاظ المسندين، وكان لهم الأثر الواضح في نشر الحديث والمذهب الحنبلي، حيث أن غالبيتهم اشتركوا في

---

(١) ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م): الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١٠، ص١٥٤. ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بهاء الدين بن شداد ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥، ١٩٩٤م، ص١٣٤- ١٣٦. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧، ١٩٩٧، ج٤١، ص١٨-٢٢. و(العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ١٩٨٥م، ج٣، ص٨٥).

السماع والرحلة في طلب العلم، ولولا المقدسيون لما انتشر العلم في بلاد الشام.[١]

في عام(٥٥١هـ/١١٥٦م) وصل إلى مدينة دمشق عدد كبير من المهاجرين من مدن وقرى بلاد الشام، منها قرية تسمى "جُمَاعيل"[٢] – القريبة من مدينتي نابلس والقدس– وصلت أول جماعة من مهاجري تلك الديار المقدسية، تاركين بلادهم فراراً من ظلم الصليبيين– الذين كانوا يسيطرون على القدس تلك الفترة– واستقروا في "الصالحية"[٣] – القريبة من دمشق– ونعموا بالأمن والاستقرار، وأخذ العلماء منهم ينشرون علم الحديث، والفقه الحنبلي، رحب أهل دمشق بأسرة الضياء، وآنست الأسرة فيهم الملاذ الآمن والمأوى، وقد اشتهر السلطان نور الدين محمود (٥١١

(١) ابن طولون (محمد بن طولون الصالحي ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٤، ٥. (محمد مطيع الحافظ: جامع الحنابلة المظفري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص٥).

(٢) جُمَاعيل: بالفتح وتشديد الميم، قرية في جبل نابلس من أرض القدس. ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص١٥٩، ١٦٠.

(٣) الصالحية: قرية كبيرة بالقرب من جبل قاسيون من غوطة دمشق، غالبية أهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٤٢). وتكثر في الصالحية المدارس العلمية والشرعية التي أقامها الأيوبيون، وهي لا تزال باقية حتى الآن.

-٥٦٧ هـ/١١١٧- ١١٧١ م)، بميله للعلم والعلماء، ومحاربة التشيع، ونشر العلم على مذهب أهل السنة، ومن أجل ذلك قام ببناء المدارس.(١)

وقد رحب نور الدين محمود بأسرة الضياء، وقربهم إليه، وعمل على خدمتهم، وقدم لهم يد المساعدة، فكان يزورهم لينظر في أحوالهم، ويقتبس من علمهم، وزهدهم، وسار صلاح الدين من بعده سيرته، فقرب إليه العلماء والصالحين من أسرة الضياء، التي شارك غالبيتهم في أعمال الجهاد. (٢)

(١)ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله بن العديم الحلبي الحنفي ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦، ص٣٣١، ٣٣٢. أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧هـ، ج١، ص٢٢٩. ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ١٢، ص ٢٧٧، ٢٧٨- ٢٣٠. النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م): الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ-١٩٩٠، ج١، ص٤٦٦.

(٢) (الضياء المقدسي: فضائل بيت الشام، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٦).

المبحث الأول: – الضياء المقدسي النشأة والحياة العلمية – موارده العلمية – جهاده في سبيل الله

أولاً: اسمه ونسبه:

الضياء أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي الجمَاعيلي[١]، ثم الدمشقي الصالحي[٢] الحنبلي الحافظ الحجة، المحدث الفقيه والمؤرخ.[٣] اتفقت روايات المؤرخين على تاريخ مولده، سنة تسع وستين وخمس مئة بالدير المبارك بقاسيون[٤]، وقد أخبر الضياء بذلك عن نفسه، ونقله عنه تلميذه

(١) نسبة إلى قرية جُمَاعيل.

(٢) نسبة إلى قرية الصالحية.

(٣) (الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ترجمة ٥٤٨١، ص٣٥٤٤. الذهبي: العبر، ج٥، ص١٧٩. ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٤، ص٤٢٦.ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م): ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، ج٣، ص٥١٤.

(٤) قاسيون: بالفتح وهو جبل مطل على دمشق، وفيه مشاهد عدد من الأنبياء والصالحين، منهم أسرة الضياء. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٥. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٤، ص٤٨.

وابن أخيه الفخر علي بن البخاري (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[١] حيث قال: سُئل عمي- رحمه الله- عن مولده فقال: سنة تسع وستين وخمسمائة.[٢]) كما كتب ذلك بخطه وقرأه تلميذه ابن النجار[٣]، وبه أيضـــاً أجاب تلميذه زكي الدين البرزالي(ت٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)،[٤] حين سأله عن تاريخ مولده[٥]، ولم يخالف هذا التاريخ أحد ممن ترجموا للضـــياء ســـوى ما ذكره ابن طولون

(١) علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدســي الجُمَاعيلي، المحدث الفقيه والأديب الثقة، ولد عام ٥٩٥هـــ، سمع من الأئمة المسندين منهم الكندي، وابن الجوزي، وتفرد بالرواية العالية، وحدث أكثر من ستين عاماً، روى عنه عددٌ كبيرٌ منهم ابن الحاجب، وابن دقيق العيد، وتقي الدين بن تيمية، وغيرهم، تولى مشيخة المدرسة الضيائية حتى وفاته. الذهبي: ســـير الأعلام، ترجمة٣٨٢٧، ص٢٧٣٣. العماد الحنبلي: شـــذرات الذهب، ج٧، ص٧٢٣- ٧٢٦.

(٢) الذهبي: ســـير الأعلام، ترجمة،٥٤٨١، ص٣٥٤٤. ابن تغري بردي (جمال الدين أبس المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـــ/١٤٦٩م: النجوم الزاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ج٦، ص ٣٥٤.

(٣) محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي، رحل لطلب العلم، فدخل مصـــر والشام وخراسان وما جاورها، وحصل الأصول وسمع من كبار العلماء، له عدد من المؤلفات أهمها كتاب تاريخ بغداد. الذهبي: العبر، ج ٥، ص١٨٠. ابن شـــاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص٣٦، ٣٧.

(٤) زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي الإشبيلي ولد حوالي عام ٥٧٧ هـــ، أندلسي الأصل، ورحل لطلب العلم، فدخل مصر ودمشق وسمع من شيوخها، كما سمع من علماء خراسان ونيسابور، سكن دمشق، ونسخ بخطه الكتب لنفسه ولطلاب العلم، وتولى مشيخة مشهد عروة. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة ٦٠٠٦، ص٣٧٨٩، ٣٧٨٠.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١١.

والنعيمي[١] أنه ولد سنة سبع وستين وخمس مئة، بسبب خطأ عند ابن طولون، ونقله عنه النعيمي. والصحيح هو تسع وستون وخمس مئة.

أما الشهر الذي ولد فيه فقد ذكر ابن رجب[٢] روايتين، الأولى: ما وجد بخط الضياء، أنه ولد في خامس جمادى الآخرة، والثانية: ما قاله ابن النجار: "سألته عن مولده فقال في جمادى الأولى".[٣] ولُقب بـ ضياء الدين أو الحافظ الضياء، وقد اشتهر بهذا اللقب وبه عُرف بين أهله وأقرانه ومعاصريه، ولذلك عرفت المدرسة التي أنشأها داراً للحديث بالضيائية نسبة إلى هذا اللقب، وبه يذكره معظم العلماء والمحدثين في مصنفاتهم.[٤]

أسرته :

نشأ الضياء في أسرة اشتهرت بالعلم، ونشر الحديث والفقه على المذهب الحنبلي، وشاركت في الجهاد ضد الصليبيين، فكان والده عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)، من أهل العلم المحدثين[٥]، ووالدته رقية بنت الشيخ أحمد بن قدامه (ت٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)، راوية للحديث، عُرفت بالتقوى والصلاح، وكانت مرجعاً في أخبار

(١) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٦. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ص ٧١.

(٢) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص٥١٤.

(٣) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص٩.

(٤) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٧٨. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص٧٣.

(٥) ولد فيما بين ٥٣٠ أو ٥٣١هـ، رحل لطلب العلم، وسمع في بغداد إلى سعد الله الفراوي، وأبي الحسين عبد الحق، وروى عنه عبد الرحمن بن سلامة المقدسي، ومحمد بن طرخان، قال الضياء إنه مات مقتولاً مظلوماً رحمه الله. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤١، ص٣٨٢، ٣٨٣.

المقادسة وأحوالهم، روى عنها ابنها الضياء وغيره[١]، وجده لأمه الشيخ أحمد بن قدامه (ت٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)، أول المهاجرين إلى دمشق ومؤسس الصالحية، عالماً فاضلاً.[٢]وكان للحافظ الضياء إخوة شاركوا في نشر الحديث والفقه، أشهرهم أخوه الأكبر أحمد بن عبد الواحد (ت٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م)[٣] ، وأخوه الأصغر عبد الرحيم بن عبد الواحد (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م).[٤] وخاله أبو عمر محمد بن الشيخ أحمد بن قدامه (ت

(١) ولدت حوالي ٥٣٦هـ، روى عنها ابنها الضياء، وابن أخيها عبد الرحمن بن عمر، وحفيدها الفخر علي، وكانت تفصل بين الناس في القضايا، وراوية لتاريخ المقادسة. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص٥٩، ٦٠. ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٧. ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص ٣.

(٢) عالم جليل، راوية للحديث، ولد عام ٤٩١هـ، ورحل عام٥٥١هـ إلى دمشق، ونزل بمسجد أبي صالح نحو عامين، ثم انتقل إلى الجبل وبنى الدير المبارك، حجَ وجاور بالحرمين الشريفين، وسمع من زين العبدري، وحدث عنه ابناه أبو عمر والموفق، جمع الضياء أخباره وكراماته في مؤلف خاص به. (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص ٢٤٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨، ص٥٥. ابن رجب الحنبلي: المصدر السابق، ج٢، ص٩٠).

(٣) المعروف بالبخاري، والد الفخر علي، ولد عام٥٦٤هـ، رحل منذ صغره لطلب العلم، وكان فقيهاً ومفتياً، فصيحاً مفوهاً، مناظراً، لم يكن في المقادسة أفصح منه. (الذهبي: المصدر السابق، ج٤٥، ص١٤٣، ١٤٤).

(٤) كمال الدين عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، ولد عام ٥٧٢هـ، رحل لطلب العلم قبل الضياء، وكان إماماً ورعاً محبباً إلى الناس، توفى على إثر مرض أصابه. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤، ص١٠٦.

٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) مؤسس المدرسة العمرية، وهو العالم الفقيه[١]، والشيخ الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، صاحب كتاب المغني في الفقه الحنبلي[٢].وأخته آسية بنت عبد الواحد (ت ٦٤٠هـ/١٢٢٤م)، كانت توصف بالخير والعبادة، وهي زوجة عيسى بن الإمام الموفق[٣] وأخته الأخرى زينب بنت عبد الواحد (ت ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وكانت راوية للحديث[٤]، أما زوجته فهي آسية بنت الشهاب محمد بن خلف بن راجح (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، وكانت دينة خيرة حافظة لكتاب الله، راوية للحديث[٥].وخالته رابعة بنت الشيخ أحمد بن محمد بن

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، ولد في قرية جُمَاعيل ٥٢٨هـ، المحدث الزاهد، هاجر مع أسرته وسكنوا الدير المبارك بجبل قاسيون، بنى المدرسة العمرية لتعليم الحديث، وأوقفها على طلبة العلم. وكان من العلماء العاملين والأولياء المتقين. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٤٩١٧، ص٣٢٦٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص٨٣.

(٢) قدم دمشق مع أهله وهو ابن عشر سنوات، رحل في طلب العلم مع ابن خالته الحافظ عبد الغني، وله مؤلفات عديدة في الحديث والفقه وعلوم اللغة العربية. (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤، ص ٤٨٣، ٤٨٤. ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص٢٨١- ٢٩٧).

(٣) ولدت عام ٥٧٧هـ، وكانت حافظة لكتاب الله، تُعلم النساء، روت بالإجازة عن الفتح بن شاتيل، وأبي السعادات القزاز، وروى عنها الشمس بن الكمال. الذهبي: المصدر السابق، ج٤٦، ص٤٣١.

(٤) روت بالإجازة عن أبي العلاء الهمداني، والسلفي، وروى عنها شمس الدين محمد بن الكمال، وعائشة بنت المجد، وغيرهم، توفيت عن ٨١عاماً. الذهبي: المصدر السابق، ج٤٧، ص١٦٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٤٣.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص١٤٢، ١٤٣.

قدامة (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) [١] وزوجة المحدث الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م).[٢]

بداية تلقيه العلم:

كانت بداية تلقيه العلم في سن مبكر منذ نعومة أظافره، ، فقد نما وترعرع في أسرة عُرفت بالعلم وعُنيت بنشره ، وشهد لهم أهل العلم والفضل بعلو مكانتهم ، يجتمعون معاً للعيش في مكان واحد يعرف بدير الصالحين الذي كان بمثابة مدرسة علمية يأوي إليها طلاب العلم من الغرباء، ينهلون من شيخه وشيخاته، فتلقى الضياء تعليمه الأولي على يد والدته، فحفظ عليها القرآن، وحضر مجالس الحديث والرواية، وروى عن والدته الكثير من الأحاديث والآثار، كما كانت أمه مصدراً لرواياته في السير والتراجم لأفراد أسرته، وأهالي بيت المقدس، وأخبار هجرتهم.[٣]

---

(١) كانت خيرة حافظة للقرآن، راوية للحديث، روى عنها الضياء، وشمس الدين، والفخر. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤، ص٤٧٩، ٤٨٠. ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص٤٢.

(٢) الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المحدث الثقة، ولد بقرية جُمَاعيل ٥٤١هـ، والده الشيخ عبد الواحد من المهاجرين الأوائل من المقادسة إلى دمشق، وأمه سعيدة بنت محمد بن قدامة، أخت الشيخ أحمد بن قدامة، جدة الحافظ الضياء لأمه، حدث بدمشق وبغداد ومصر، وقعت له محنة مع أهل التأويل بدمشق، فخرج إلى مصر وأقام بها حتى وفاته، وله عدد من المؤلفات الحديثية والتاريخية. الصفدي: المصدر السابق، ج١٩، ص٢١، ٢٢. ابن رجب الحنبلي: المصدر السابق، ج٣، ص١، ٢.

(٣) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص ١١، ١٢.

بدأ الضياء حضور مجالس الحديث والرواية وهو في السابعة من عمره، فتلقى الحديث سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) عن أبي المعالي بن صابر(ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)[١] وغيره، وطلب له أهله الإجازة من كبار العلماء وذلك من خلال رحلاتهم وسماعهم. كما جلس الضياء للسماع والأخذ عن عدد من أقربائه، فلازم الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، زوج خالته، وكانت له دروس في الجامع الأموي الكبير بدمشق بحلقة الحنابلة، "وبه تخرّج في الحديث، وحفظ القرآن، وتفقه."[٢] كما أنه لازم خاليه أبا عمر محمد المقدسي، وموفق الدين عبد الله المقدسي، وقد كان لهما أثر كبير فيما وصل إليه الضياء من التميز والاتقان العلمي.[٣]

-رحلاته العلمية وشيوخه:

الرحلة في طلب العلم كانت العادة المتبعة لأهل العلم وطلابه في تلك الفترة، وتحقيقاً لما جاءت به تعاليم الإسلام، ودعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، اهتم العلماء بالتنقل بين الحواضر الثقافية في العالم

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد أبو المعالي، المحدث الثقة، ولد٤٩٩هـ، وتخرج عليه عدد من العلماء، وروى عنه الحافظ عبد الغني، والشيخ الموفق. (ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص١، ٢). العماد الحنبلي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م: شذرات الذهب، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٧، ص٣٢٥، ٣٢٦).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ٢٠٩).

(٣) (الضياء المقدسي: ثبت المسموعات، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ص٩. ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٢٨-٣٥).

الإسلامي، بحثاً عن فائدة، أو تصحيح مسألة، أو لطلب الحديث[١]. لم يكتف الضياء بالأخذ عن علماء دمشق وما حولها أو من يردها من العلماء، وقد سبق الضياء أهله وأسرته في الرحلة لطلب العلم، وقد ساعده على ذلك تحسن الأوضاع السياسية، بعد نجاح صلاح الدين في استرداد بيت المقدس، وكانت القدس هي الوجهة الأولي للضياء. فبعد سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وهي السنة التي فُتحت فيها بيت المقدس، رحل الضياء إلى هذه المدينة التي شارك في الجهاد من أجل استردادها من الصليبيين، وكان في صحبته الشيخ عبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي (ت ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)[٢]، وفي (سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) رحل إلى مصر، بصحبة عدد من أقرانه وأقربائه من المقادسة[٣]، وقد تميّزت تلك الفترة بعودة المذهب السني، وتراجع المذهب الشيعي –المذهب الرسمي لمصر في العصر الفاطمي– كما افتتح صلاح الدين الأيوبي مدارس الحديث والفقه [٤]، ورحل العلماء إلى مصر من المشرق والمغرب، وتصدر للتدريس

---

(١) الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد على بن ثابت بن أحمد بن مهدى ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م: الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، دمشق، الطبعة الأولى،١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص٧،٨).

(٢) سيف الدين أبو القاسم عبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي، ولد بقاسيون ٥٥٩هـ، رحل في طلب العلم، واشتغل بطلب الفقه واللغة، والفرائض، والعروض وله فيها مؤلفات. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤١، ص ٢٣٩، ٢٤٠. ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج١، ٣٧١ –٣٧٢.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ج٤٧، ص ٢٠٩.

(٤) شرع صلاح الدين في بناء المدارس سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، ومنها المدرسة الناصرية للفقهاء الشافعية، وهي أول المدارس التي أقامها بجوار جامع عمرو بن العاص، ==

بها كبار العلماء[١]. واستمع الضياء بمصر إلى أبي القاسم البوصيري (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)[٢]، وفاطمة بنت سعد الخير[٣] وغيرهما[٤]، ثم بدأ جولاته العلمية لبلاد المشرق في رحلتين زار فيها أهم مدن العلم ومراكزه.

<u>الرحلة الأولى:</u> استمرت حوالي ثمان سنوات، امتدت من سنة (٥٩٦ – ٦٠٤هـ/ ١١٩٩– ١٢٠٧م) وقد زار خلال هذه الرحلة كثيراً من مدن العلم، وسمع في بغداد من علماء كثيرين [٥]. منهم ابن الجوزي (ت٦٣٠هـ/

والمدرسة القمحية التي أوقفها للمالكية، والمدرسة السيوفية وأوقفها على الفقهاء الحنفية. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، طبعة جمهورية مصر العربية، ١٣٢٦هـ، ج٤، ١٩٣– ١٩٦).

(١) (الصفدي: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٢، ص٨٥).

(٢) هبة الله بن علي بن سعود بن ثابت البوصيري، مسند الديار المصرية، ولد سنة٥٠٦هـ، أجاز له الرازي وأبو الحسن بن الفراء، وروى عنه الكثير، منهم الحافظ عبد الغني، والضياء المقدسي، وأبو الحسن السخاوي، وغيرهم. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٦٤٨٤، ص٤٠٥٨.

(٣) فاطمة بنت سعد الخير بن محمد البلنسي، ولدت بأصبهان سنة٥٢٢هـ، سمعت من أبيها، وفاطمة الجوزجانية، وإسماعيل السمرقندي وآخرين، تزوجت من زين الدين بن نجية الواعظ، وسكنا دمشق ثم مصر، وحدثت فيهما. (الذهبي: المصدر السابق، ترجمة٤٤٦٨، ص٣٠١٤.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص،٢٠٩. العبر، ج٥، ص١٨٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٨. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٨٨.

(٥) الصفدي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٨. العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٨٨.

١٢٣٢م)[١] وطبقته، وفي أصبهان وهمذان سمع من أبي جعفر الصيدلاني (ت٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[٢] وغيره[٣]، ثم دخل دمشق واستقر بها حتى سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م).[٤]

<u>الرحلة الثانية:</u> وقد استمرت حوالي خمس سنوات، جمع في هذه المدة علماً غزيراً، وحصل كثيراً من الأسانيد والكتب في مختلف العلوم والمعارف، دخل أصبهان للمرة الثانية سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)[٥]، "وسمع بها ما لا يوصف كثرة، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها"[٦] ثم توجه إلى نيسابور، وسمع من المؤيد الطوسي (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)[٧]،

---

(١) علي بن عبد الرحمن بن علي الجوزي البكري البغدادي، ولد في رمضان ٥٥١هـ، واشتغل بالوعظ مدة، ثم لزم النسخ، حدث عنه السيف، والعز عبد الرحمن الحافظ وغيرهم. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٣٩٧٥، ص٢٧٩٣.

(٢) محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الأصبهاني الصيدلاني، ولد ٥٠٩هـ، روى عنه الضياء المقدسي، وأبو الخطاب ين دحية الكلبي، وغيرهم. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٤٩٣٣، ص٣٢٧٤. والعبر، ج٥، ص١٨٠.

(٣) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٨٨.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ٢٠٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٨. العماد الحنبلي: المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٨. العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص ٣٨٨.

(٦) العماد الحنبلي: نفسه، ج٧، ص٣٨٨.

(٧) المؤيد بن محمد بن علي بن حسن بن صالح الطوسي، الإمام المسند مُسند خراسان، حدث عنه الصيرفيني والضياء وابن النجار وابن نقطة وغيرهم. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٤٦٨١، ص٣١٧٣.

وفي هراة سمع من أبي روح عبد المعز (ت ٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[١] وغيره[٢]، ثم رحل إلى مرو وأقام بها ما يقرب من سنتين[٣]، وتلقى العلم على شيوخها، ثم عاد إلى دمشق وذلك سنة (٦١٢هـ /١٢١٥م). [٤]

وفي سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) قام بأداء الحج وزيارة المدينة المنورة وسمع من علمائها[٥]، وفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م) رحل إلى المسجد الأقصى، وسمع من علمائه. وبعد عودته من رحلاته العلمية، تفرغ للتدريس والإملاء والتصنيف، والنسخ، وكان قد حصل علماً غزيراً.[٦]

وهكذا تجول الضياء بين مدن العلم ومراكزه، واستمع لعدد كبير من الشيوخ والشيخات، و "يقال إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ"[٧]، وقد جمع الضياء أخبار رحلته وتلقيه العلم من شيوخه ممن التقى بهم، وما

---

(١) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي المحدث الثقة، ولد بهراة ٥٢٢هـ، حدث عنه البرزالي والضياء وابن النجار وغيرهم، ذكر الضياء أنه مات شهيداً على يد الترك. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٣٤٩٣، ص٢٥٦٣.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٤هـ، ص١٤٠٥.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص ٢١٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٨. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٨٨.

(٤) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص١٤. الصفدي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٨.

(٥) الصفدي: نفسه، ج٤، ص٤٨. الذهبي: المصدر السابق، ج٤٧، ص ٢١٠.

(٦) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص١٦.

(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١٠. ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج ٣، ص٥١٦. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٨٨.

سـمع عليهم في كل مجلس من مجالس الحديث، وذكر تفصـيل ذلك من خلال مصنف له، وأسماه «ثبت السماع»[١].

الموارد العلمية للضياء المقدسي:

تُعد الموارد العلمية من أهم أدوات الكاتب أو المؤرخ، فهي بمثابة المعين الذي يستقى منه المادة العلمية لأي عمل علمي، ولا يمكن للمؤلف بأي حال من الأحوال الاسـتغناء عنها، وقد تعددت الموارد العلمية بكافة عناصرها للضياء المقدسي، ما بين الرواية الشفهية، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، أو السماع والقراءة على الشيوخ، وهو ما نستعرضه فيما يلي: -

أ-الرواية الشفهية: لقد احتفظت الرواية الشفهية بمكانة جيدة على الرغم من انتشـار التدوين بشـكل واسـع، وذلك بسـبب ما تميزت به من خصائص محددة منها الدقة والضبط.[٢]

وقد اعتمد الضـياء المقدسـي في الكتابة التاريخية على الرواية الشـفهية، كأحد المصـادر والموارد المهمة، وقد أرخ الضـياء لقومه وعشيرته، وأفراد أسرته، فكتب عن تاريخ هجرتهم، وتأسيسهم " الصالحية"، ومصـدره في ذلك الأخبار المروية بأسـانيد متصـلة، والروايات الشـفوية،

(١) (الضياء المقدسي: ثبت مسموعات الإمام الحافظ، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ).

(٢)(بشـار عواد معروف: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسـلام، مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٧٦م، ص ٣٨٦).

وأحاديثه إلى والدته وعمته، وخاليه أبي عمر، وموفق الدين، وغيرهم من أقاربه وعشيرته.

ومن ذلك ما ذكره الضياء عن سبب هجرة أسرته من قريتهم جمّاعيل، القريبة من بيت المقدس، قال الحافظ الضياء:" وسمعت غير واحد من أصحابنا يقول:" إن المسلمين صاروا تحت أيدي الفرنج بأرض بيت المقدس ونواحيها، يعملون لهم الأرض، وكانوا يؤذونهم ويحبسونهم، ويأخذون منهم شيئاً كالجزية...."[١]

ويقول الضياء: "وسمعت والدتي أم أحمد رقية بنت الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة- أحسن الله جزاءها- قالت: سافر والدي إلى دمشق في رجب، وجاء والدك والذين معه- يعني الذين سافروا مع الشيخ إلى دمشق- في شوال، ولم نقم بعد وصولهم إلا ليلة واحد...."[٢].

ب-السماع والقراءة على الشيوخ:

وهو من الموارد المهمة التي اعتمد عليها الضياء في الكتابة التاريخية، وقد اتضح ذلك من خلال استخدامه ألفاظ تدل على السماع، ومنها قوله " سمعت من فلان كذا،

أو سمعت كذا، وذلك على نحو قول الضياء:" سمعت من والدتي تقول: أقمنا بمسجد أبي صالح نحو ثلاث سنين أو أكثر، ومات منا فيه ثمانية وعشرين نفساً...."[٣].

(١) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٢٧.

(٢)ابن طولون: المصدر السابق، ص٢٨.

(٣) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٣٤.

ومن ذلك أيضاً ما يرويه الضياء عن سبب هجرة بني قدامة من مسقط رأسهم، قرية جمَاعيل إلى الصالحية، ويقول: " وسمعت الشيخ الكبير أبا نجم سعد بن خليل حيدرة الحارثي(١)، بقرية دجانية(٢) قال: كنت أعرف الشيخ أحمد من جمَاعيل، وكنت أمضي إلى عنده كثيراً، وكان يخطب يوم الجمعة، ويخرج إليه الناس من القرايا (٣)، ويحضرون الجمعة...."(٤).

ومن ذلك قول الضياء: "سمعت خالي الإمام أبا عمر يقول –وهذا معنى ما سمعته منه– أنهم لما عزموا –يعنى على الهجرة – جمعوا أهاليهم من القرايا، قال وأخذنا معنا أدلاء، وكنا نمشي بالليل، ونقيم بالنهار، حتى جئنا إلى قرية، تسمى جبعيت(٥)، فوجدنا بها قوماً من العرب...فذبح لنا الرئيس الذي في القرية، وحلف علينا لنقيم حتى نتغدى.... وكنا نفزع عند الشريعة من أجل الفرنج...." (٦). والمقصود أنهم كانوا خائفين من السير في الطريق، بسبب اعتداءات الصليبيين، وكانت

---

(١) لم أقف له على ترجمة خاصة به.

(٢) دجانية: لم أقف على تعرف لها في المصادر الجغرافية، وهي حالياً من أعمال مدينة القدس بفلسطين.

(٣) المقصود بها القرى.

(٤) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٢٧.

(٥) لم أقف لها على تعريف في المصادر الجغرافية. وهى قرية من أعمال بيت المقدس، ولا تزال باقية إلى الآن في مدينة القدس، تقاوم الاستيطان الإسرائيلي. موقع سند للأنباء: مايو، ٢٠٢٠ – ١٠:٣٢.

(٦) ابن طولون: المصدر السابق، ص٢٩.

الطرق –تلك الفترة– غير آمنة، وغالباً ما كانت تتعرض القوافل للقتل والنهب.

وأيضاً يقول الضياء:" أخبرنا سعيد بن محمد بن محمد بن الهمداني بقراءتي عليه ببغداد...."(١).

وكذلك قوله:" أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر القرشي الخشوعي(٢)، قراءة عليه، وأنا أسمع بدمشق...."(٣) .

ومما سبق يتبن لنا أن الضياء قد تعددت لديه الموارد العلمية، ما بين الرواية الشفهية والسماع والقراءة على الشيوخ، كما اتسم بالدقة والأمانة العلمية في النقل، وذلك بتحديد مكان أخذه الرواية والسماع من شيوخه.

– مشاركة الضياء في أعمال الجهاد:

كان الضياء" مجاهداً في سبيل الله"(٤)، وقد شارك مع أهله في الجهاد ضد الصليبيين، وهناك بعض الروايات عن مشاركته وخاليه أبي عمر والموفق، وعبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي، وغيرهم من المقدسيين، في القتال مع صلاح الدين، الذي كان ينزلهم في خيمة

(١) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص٥٨.

(٢) ولد بدمشق (٥١٠ هـ/ ١١١٦م)، المحدث والعالم المسند، سمع من هبة الله بن الأكفاني، وابن طاووس وغيرهم، حدث عنه الضياء، والموفق، وأحمد بن يوسف التلمساني، وغيرهم. (الذهبي: سير الأعلام، ترجمة ١١٧٣، ص١١٩٦).

(٣)(الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص٦٤).

(٤) (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص ٢١١).

مستقلة، ويستشيرهم في كثير من أموره، وكانوا مع جهادهم يجلسون للمناظرة ونشر العلم أثناء الاستعداد للمعارك. (١)

يذكر ابن رجب الحنبلي تفصيل ذلك في رواية عن الضياء، فيقول:" قال: وشهدنا غزاة مع صلاح الدين، فجاء ثلاثة فقهاء، فدخلوا خيمة أصحابنا، فشرعوا في المناظرة، وكان الشيخ موفق الدين، والبهاء حاضرين، فارتفع كلام أولئك الفقهاء، ولم يكن السيف- عبد الله بن عمر المقدسي- حاضراً ثم حضر، فشرع في المناظرة، فما كان بأسرع من أن انقطعوا من كلامه".(٢)

وقال الضياء :" سافرتُ مرة مع خالي الإمام أبي عمر إلى الغزاة، فبتنا عند قرية، فأراد بعضنا أن يسهر ويحرسنا، فقال له الشيخ: نم وقام هو يصلي".(٣)

وهكذا يتضح لنا النبوغ العلمي للضياء، وتعدد رحلاته وكثرة شيوخه، وتنوع موارده العلمية، ونشأته في أسرة علمية، شارك الرجال والنساء في نشر العلمي في صالحية دمشق، ولم يمنعهم ذلك من المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين.

(١) (الضياء المقدسي: ثبت المسموعات، ص٦).

(٢) (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤١، ص٢٤٠).

(٣) (الضياء المقدسي: أحوال الإمام الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق، عمرو بن عبد المنعم سليم، دار الضياء، طنطا، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢١١).

المبحث الثاني: مكانته العلمية وتراثه. ويتناول:

(مكانته العلمية – دار الحديث الضيائية – مؤلفاته– تلاميذه– وفاته)

١-مكانته العلمية: نبغ الضياء المقدسي في تلقي العلوم من المقربين له من أفراد أسرته، أو شيوخه، وواصل ذلك دون كلل أو ملل، وبلغ مكانة عالية في عدد من العلوم والفنون، فجمع بين الحديث والفقه والتاريخ وطرفاً من الأدب والتفسير واللغة [١]، ومن خلال تتبع ترجمته في عدد من المصادر لم أجد من اختلف عليه، فهو أحد العلماء العدول الثقات، امتدحه معاصروه وأقرانه من أصحابه أو تلامذته، بتفوقه دينياً وعلماً وخُلقاً.

يصفه أبو إسحاق الصريفيني (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) [٢] رفيقه في رحلته بقوله:" كان الحافظ الزاهد العابد ضياء الدين المقدسي رفيقي في السفر، وصاحبي في الحضر، وشاهدت من كثرة فوائده، وكثرة حديثه، وتبحره فيه". [٣]

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٧، ص٢١٣.

(٢) إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد أبو إسحاق العراقي، الحافظ الرحال، ولد بصريفين بالعراق٥٨١هـ، حدث عنه ابن العديم ورفيقه الضياء، والفخر بن عساكر، وغيرهم، تولي مشيخة الحديث في منبج، وحلب. ودفن بجبل قاسيون. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة١٢٨، ص٦٩٠.

(٣) الضياء المقدسي: ثبت المسموعات، ص١٣. وفضائل بيت المقدس، ص١٧.

أما تلميذه ابن الحاجب (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) [١] يصفه ويقول: "شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته، ونسيج وحده، علماً وحفظاً وديناً، من العلماء الربانيين، وهو أكبر من أن يدُل عليه مثلي، كان شديد التحري في الرواية، ثقة فيما يرويه، مجتهداً في العبادة، كثير الذكر، منقطعاً عن الناس، متواضعاً في ذات الله، صحيح الأصول، سهل العارية، ولقد سألت في رحلتي عنه جماعة من العارفين بأحوال الرجال، فأطنبوا في حقه، ومدحوه بالحفظ والزهد، حتى إنه لو تكلم في الجرح والتعديل لقبل منه".[٢]

كما تحدث عنه ابن النجار في كتابه- تاريخ بغداد- [٣] وهو رفيقه في تلقي العلم عن الشيوخ، وأخذ عنه أيضاً، فيقول:" كتب فحصل الأصول، وسمعنا بقراءته الكثير، وأقام بهراة ومرو مدة، وكتب الكتب الكبار بهمة عالية، وجد واجتهاد، وتحقيق واتقان، كتبتُ عنه ببغداد ودمشق ونيسابور، وهو حافظ متقن، ثبت حجة، عالم بالحديث والرجال، ورع، تقي، زاهد، عابد، محتاط في أكل الحلال، مجاهد في سبيل الله، ولعمري ما رأت عيناي مثله في نزاهته وعفته، وحسن طريقته في طلب العلم". [٤]

---

(١) عمر بن محمد بن منصور الأميني بن الحاجب الجندي الدمشقي، أحد الحفاظ النابهين، صنف قبل بلوغه سن الأربعين، وهو صاحب " المعجم الكبير"، كتب تاريخ وفاته، في شعبان سنة ٦٣٠هـ، وكان ديناً، خيراً، ثبتاً. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة ٤٢٩١، ص٢٩٣٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١١. وسير الأعلام، ترجمة٥٤٨١، ص٣٥٤٤. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١١. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص١٤٠٦.

(٤) العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٨٨. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٥٤٨١، ص٣٥٤٤.

٢-دار الحديث الضيائية:

ارتبط اسم الحافظ الضياء باسم المدرسة التي أقامها بسفح قاسيون، على مقربة من الجامع المظفري[١]، وقد خصصها لتدريس الحديث، وبنى بها سكناً لطلاب العلم من الغرباء والوافدين، وألحق بها مكتبة حوت النفيس من الكتب والمخطوطات، والنسخ النادرة التي تحمل خطوط الأئمة الأربعة، ونسخ من التوراة والإنجيل، جعلها وقفاً لطلاب العلم.[٢]

أنفق الضياء على بناء مدرسته كل ما كان يتحصل عليه من مال، وتشير الروايات أنه شارك بنفسه في بنائها، " وكان يبني منها جانباً ويصبر إلى أن يجتمع معه ما يبني به"[٣] ولم يقبل مساعدات مالية لإكمال البناء، تورعاً منه رحمه الله. [٤]

---

(١) بدأ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامه بناء المسجد سنة ٥٩٨هـ، ولما توقف عن استكمال البناء لنفاد الأموال، أرسل المظفر صاحب اربل، الأموال لاستكمال بنائه، وأوقف أوقافاً للصرف عليه، وكان المظفر كثير الصدقات، غزير البر والصلات. سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن عبد الله ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج٢٢، ص٣٢٣. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٥٤٨١، ص٣٥٤٤. ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٧٦. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ص٧٣، ج٢، ص٤٣٥).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١٢. ابن طولون: المصدر السابق، ص٨٢. ابن كثير البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٨٤. النعيمي: المصدر السابق، ج٢، ص٧٣.

(٣) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص١٨. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٨٩.

(٤) ابن رجب الحنبلي: ذيل الحنابلة، ج٣، ص٥١٨.

وقد تولى الضياء التدريس في " المدرسة الضيائية "، واستمرت مدرسته كأحد المراكز العلمية المهمة في دمشق، وقد درس في هذه المدرسة وأشرف عليها عدد من العلماء. (١)

وقد أصيبت المدرسة ومكتبتها بنكبات كثيرة، ونالتها يد التخريب عند دخول غازان (٦٩٥-٧٠٤هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) مدينة دمشق. (٢) ثم عمل القائمون على أمر المكتبة، على إعادة الكتب إليها من جديد، وقد شاهدها الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، وقال عنها:" ثم تماثلت وتراجع حالها، وفيها بحمد الله الآن جملة نافعة للطلبة."(٣)

---

(١) النعيمي: المصدر السابق، ج٢، ص٧٣، ٧٤.

(٢) تولي السلطان محمود غازان عرش الدولة الأيلخانية سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، اعتنق الإسلام على يد وزيره العالم الفارسي رشيد الدين فضل الله همداني، وأصدر مرسوم ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، غير أنه دخل في معارك مع دولة المماليك، وانتصر في مرج المروج شمال شرق حمص (٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩م) وكان المماليك بقيادة الناصر محمد بن قلاوون، وترجع هزيمة المماليك إلى صغر حجم جيشهم، ونقص استعداداته. الهمذاني (رشيد الدين فضل الله ت ٧١ ٨هـ /١٣١٨م): جامع التواريخ، تحقيق فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠، ج٢، ص٤١- ٤٥. المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٣١٧. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٧٥.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١٢.

٣-مؤلفاته:

الضياء المقدسي " صاحب التصانيف النافعة"[١]، وقد جمع الضياء خلال رحلاته العلمية علماً غزيراً متنوعاً، ونال حظاً وافراً في علوم شتى، دلَّ على ذلك مصنفاته المتعددة والمتنوعة، سواء الحديثية منها أو التاريخية، (التراجم والطبقات)، وقد قاربت مؤلفاته المئة أو يزيد، منها الجزء الصغير، ومنها الأجزاء الكثيرة التي تتجاوز التسعين جزءاً، ومنها ما هو مطبوع، ومنها لا يزال مخطوطاً بالمخازن والمستودعات، نذكرها فيما يلي:

أولاً المؤلفات العلمية المطبوعة:

-الأحاديث المختارة [٢]: ولم يكمله، وهو مرتب على المسانيد على حروف المعجم، خرَج منها تسعون جزءً، وهي من الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين، خرجها من مسموعاته، وقال بعضهم هي خير من صحيح الحاكم.

١-الأمراض والكفارات والطب والرقيات، ويسمى أيضاً " الطب النبوي". [٣]

(١)ابن الأثير: البداية، ج١٧، ص ٢٨٤. الذهبي: المصدر السابق، ج٤٧، ص٢٠٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٣٥٤.

(٢) تحقيق محمد بدر الدين القهوجي، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٧هـ.

(٣) تحقيق مجدي السيد، القاهرة، دار الصحابة، ١٤٠٩هـ.

٢- النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب. [١]

٣- صفة الجنة. [٢]

٤- اختصاص الرحمن بعوده إلى الرحيم الرحمن. [٣]

٥- الرواة عن مسلم. [٤]

٦- السنن والأحكام ستة أجزاء [٥].

٧- فضائل الأعمال. [٦]

٨- جزء الأوهام في المشايخ النبل. [٧]

---

(١) تحقيق محمد أحمد عاشور، الدار الذهبية، د.ت.

(٢) تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٤) غسان بن عيسى هرماس، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٥) تحقيق: أَبو عَبد الله حُسَين بْن عُكَاشَة، دَارُ مَاجِد عَسيْرِي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٦) له عدة طبعات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت. وطبعة أم القرى، ١٤٠٣هـ. وأخرى تحقيق غسان عيسى محمد هرماس، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

(٧) تحقيق: بدر بن محمد العماش، دار البخاري، المدينة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

ثانياً: المؤلفات المخطوطة: -

١- الأحاديث والحكايات: عدة أجزاء [١]

٢- الأحكام: في ثلاثة أجزاء. [٢]

٣- دلائل النبوة. [٣]

وغير ذلك من المؤلفات العلمية، مما ذكرته كتب المصادر والتراجم.[٤]

٤-تلاميذه:

أخذ عن الضياء الكثيرون مما يضيق المقام بذكرهم، كما أخذ عنه جماعة من رفقائه الذين شاركوه في الرحلة. [٥] ومن تلامذته أبو عبد الله البرزالي[٦]، والحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار[٧]، وإسماعيل بن الفراء (ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) [٨]، وابن أخيه محمد بن عبد الرحيم

---

(١) العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٩٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١٢.

(٣) العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ٣٩٠.

(٤) الذهبي: سير الأعلام، ترجمة ٥٤٨١، ص٣٥٤٤. ابن كثير: البداية، ج١٧، ص ٢٨٤. ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص٥١٨. العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٨٩، ٣٩٠.

(٥) الذهبي: سير الأعلام، ترجمة٥٤٨١، ص٣٥٤٤.

(٦) سبق الترجمة له ص١٤.

(٧) سبق الترجمة له ص٧.

(٨) عز الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو بن موسى بن عميرة الصالحي، ولد بالصالحية عام ٦١٠هـ، أصيب في غارات التتار على دمشق، وتوفى ٧٠٠هـ. الذهبي: نفسه، ترجمة١٠١٧، ص١١٠٩. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٩٥.

المقدسي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) [١]، ووزيرة بنت يحى التغلبي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)[٢]، وغيرهم الكثير.

٥-وفاته:

قضى الضياء المقدسي حياته في نشر العلم في مدرسة الحديث " الضيائية"، وتوفى يوم الإثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) [٣] كما ذكر الذهبي، بينما اختلف أبو شامة مع الذهبي في تحديد اليوم، فذكر أبو شامة أنه يوم السابع عشر من جمادى[٤]، وله من العمر أربع وسبعون عاماً، ودفن في الروضة بجبل قاسيون بدمشق. [٥]

---

(١) محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن قدامة، أحد الأئمة المسندين والمجاهدين، ولد ٦٠٧هـ، سمع من الضياء والكندي والموفق، غيرهم، تولى مشيخة الأشرفية بجبل قاسيون، والتدريس في مدرسة الحديث الضيائية، لازم عمه الضياء، وأتم له كتاب الأحكام. الذهبي: سير الأعلام، ترجمة ٥٣٥٠، ص٣٤٨٩. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٠٩، ٧١.

(٢)وزيرة بنت تاج الدين أبي الفضل يحي بن محمد بن حمزة التغلبي الدمشقي، أجاز لها الضياء، وابن البخاري، وعز الدين بن عساكر وغيرهم، وهي من بيت الحديث، ووالدها من المحدثين الثقاة. العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٨، ص ٦٥، ٦٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص ٢١٢. وتذكرة الحفاظ، ص١٤٠٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٤٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٣٥٤.

(٤) أبو شامة: الذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ٢٧٢.

(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص١٤٠٦. العماد الحنبلي: الصدر السابق، ج٧، ص٣٩١. ابن كثير، البداية: ج١٧، ص٢٨٤. ابن رجب الحنبلي: ذيل الحنابلة، ج٣، ص٥١٤.

المبحث الثالث: منهج الضياء المقدسي في الكتابة التاريخية

الضياء المقدسي أحد العلماء الذين كان لهم شرف الإسهام بنهضة الأمة، وتشييد حضارتها، يشهد على ذلك انتاجاته العلمية الباقية إلى يومنا هذا، والتي تجاوز عددها المائة وأربعين مصنفاً، في مختلف ميادين العلم، من فقه وتاريخ وحديث وزهد، ومما لا شـــك فيه أن هذا العدد الكبير من المؤلفات إذ يدل على شـــيء فهو يدل على كثرة حفظه واطلاعه، وســـوف نتطرق للحديث عن أبرز مصنفات الضياء التاريخية ومنهجه في كتابتها. ومن خلال تتبع مؤلفات الضـــياء التاريخية، المطبوعة والمخطوطة، نجد تنوع كتاباته، ما بين التاريخ والســـير والتراجم، ويمكن توزيعها على النحو التالي:

أولاً: مؤلفات في سير الأنبياء ومنها:

١- صفة النبي صلى الله عليه وسلم. (١)

٢-قصة موسى عليه السلام. (٢)

ثانياً: مؤلفات تتناول أحداث تاريخية للإسلام في العصر المكي:

منها الحديث عن بيعة العقبة الأولى والثانية، وأحداث "هجرة المســـلمين إلى الحبشة"، وذكر من شارك من الصحابة في غزوة بدر، وهي:

---

(١) لـه عدة طبعات الأولى تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـــ/ ٢٠٠٤م. وطبعة أخرى بتحقيق أحمد البزرة، دار المأمون، لبنان، د.ت.

(٢) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، ج٣، ص٥١٩.

١-الهجرة إلى أرض الحبشة. (١)

٢-ذكر العقبتين وعمره صلى الله عليه وسلم. (٢)

٣-أسماء البدريين. (٣)

ثالثاً: مؤلفات في السير والتراجم وهي:

١-نصيحة الملك الأشرف. (٤)

٢- أحوال الإمام الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه بن نصر المقدسي. (٥)

٣-كتاب "المنتقي من أخبار الأصمعي". (٦)

٤-مناقب جعفر بن أبي طالب. (٧)

---

(١) ابن رجب الحنبلي: ذيل الحنابلة، ج٣، ص٥١٩. العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٩٠.

(٢) العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٠. والمخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم، المكتبة الشاملة، أحمد الخضري.

(٣) ذكره الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٧، ص٢١٢.

(٤) تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار البيروني. طبع ضمن كتاب دار الحديث الضيائية ومكتبتها بصالحية دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٥) تحقيق: عمرو بن عبد المنعم سليم، دار الضياء، جمهورية مصر العربية، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م. وأخرى طبعة بيروت، دار ابن حزم.

(٦) تحقيق عز الدين التنوخي، ومحمد مطيع الحافظ، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٨٧م.

(٧) تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٥-سبب هجرة المقادسة إلى دمشق وكرمات المشايخ، ويسمى "سير المقادسة"، أو"حكايات مشايخ الأرض المقدسة". وهو نحو عشرة أجزاء، وأفرد لكبار علمائهم لكل واحد منهم سيرة في أجزاء كثيرة. (١)

كما لم ينس الضياء بلده " بيت المقدس"، وسجل لها مؤلف خاص بها ينتمي للتراجم البلدانية، وهو:

١-فضائل بيت المقدس. (٢)

<u>ومن خلال النظرة المتأنية لهذه المؤلفات يمكن استعراض منهج ضياء الدين المقدسي في الكتابة التاريخية، وهو كما يلي:</u>

التزم المؤرخون المسلمون بالرغم من تعدد صور الكتابة التاريخية لديهم، منهجين في كتاباتهم التاريخية. <u>الأول:</u> منهج التاريخ الحولي أو التاريخ حسب السنين، <u>والثاني:</u> المنهج الموضوعي أو منهج التاريخ حسب الموضوعات. (٣) **وقد اتبع ضياء الدين المقدسي المنهج الموضوعي في الكتابة التاريخية، وذلك بتقسيم الأحداث إلى موضوعات والحديث عنها، وهو منهج اعتمده عددُ من المؤرخين السابقين للضياء. فهو يعمد إلى تجميع الأخبار والأحاديث في الموضوع الذي يؤلف فيه، وتقسيم ذلك إلى أبواب، ويتألف الكتاب من مجموعة الأبواب المتقاربة والمتناسقة**

---

(١) ذكره الذهبي: سير الأعلام، ص ٥٤٨١. وذكره ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة، ج٢ص ٢٣٩؛ ولخصه محمد بن طولون: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية.

(٢) تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ.

(٣) (السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والاثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص٨٢).

الموضـــوعات. كما يلاحظ أنه قد تأثر بمنهج المحدثين في عرض الرواية، وذلك برواية كل خبر مسـنداً إلى شـيخه الذي أخذ عنه، إلى آخر السـند. وفيما يلي نذكر عدداً من الأمثلة على ذلك:

في كتابه " صفة النبي صلى الله عليه وسلم"، يقول الضياء: " قال زكريا بن يحيى وحدثنا به سـفيان بن وكيع، حدثنا جُميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي أبو جعفر- إملاء علينا من كتابه.....، عن الحســـن بن على، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة – وكان وصافاً-: عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به. فقال: " كان النبي فخماً مفخماً [١]، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع [٢]، وأقصـــر من المشَـــذب [٣]..... خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُل نظره الملاحظة". [٤]

وكذلك ما ذكره ضـياء الدين المقدسـي من حديث أم معبد في صـفة النبي صـلى الله عليه وسـلم، فيقول: حدثنا أبو محمد الحسـن بن علي بن خلف الصيدلاني، وأبو حريش الكوفي بمصر..... أن رسول الله -صلى الله

---

(١) أي عظيماً في نفسـه ومعظماً في الصـدور والعيون، عند كل من يراه صـلى الله عليه وسلم. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩، ص٤٦٤.

(٢) ما بين الطويل والقصـير على حد سـواء. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م): مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦ ص٩٧.

(٣) المشـــذب أي الطويل البائن الطول مع نقص في اللحم. (إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم البسيط، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، ص٤٧٦).

(٤) (الضـياء المقدسـي: صـفة النبي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٤٦- ١٤٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص٧٣١- ٧٤١).

عليه وسلم – لما هاجر من مكة إلى المدينة، هو وأبو بكر وعبد الله بن أريقط الليثي –دليلهما– مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة جلدة، تختبي بفناء القبة وتسقي، وتُطعم، فسألوها لحماً وتمراً يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً، وإذا القوم مرملون مسنتون، فنظر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم...". (١)

ومن مخطوط " ذكر العقبتين وعمره صلى الله عليه وسلم" للضياء، يذكر فيه عدداً من الروايات المتصلة السند عن بيعتي العقبة الأولى والثانية، وعدد عمرات النبي– صلى الله عليه وسلم–، فيقول عن أحداث بيعة العقبة الأولى:

"أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك الحريمي، بقراءتي عليه ببغداد.....، عن عبادة بن الصامت، قال: "كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا ... --رسول الله صلى الله عليه وسلم–، على بيعة النساء –وذلك قبل أن يفترض الحرب– على ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله إن شاء عذب، وإن شاء غفر". (٢)

ومن خلال ما سبق يتبين أن الضياء قد اعتمد في كتابة سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– على الروايات الصحيحة، متصلة السند، وذكرها

(١) الضياء المقدسي: صفة النبي، ص١٦٢– ١٦٤.

(٢) الضياء المقدسي: ذكر العقبتين وعمره صلى الله عليه وسلم، برنامج جوامع الكلم، المكتبة الشاملة، ١/١.

مسندة بأسماء شيوخه، مع تحديد البلد الذي سمعه فيه، وفي نهايتها يُخرج الأحاديث إلى الكتب الحديثية، وهي طريقة مهمة في توثيق الرواية، ويتفق ما ذكره الضياء مع عدد من المصادر التاريخية [١]، مما يشير إلى صحة كتابات الضياء، واعتمادها على صحيح الروايات الواردة في كتب الصحاح.

منهج الضياء المقدسي في كتابة التراجم:

عُرفت الترجمة للأشخاص قديماً كقدم الإنسان ، فقد ظهرت قديماً في الأمم التى عرفت الكتابة، ويعتبر العرب من أقدم الأمم وأكثرها عناية بالتراجم، وكما نشأ علم التاريخ عند المسلمين من رحم علم الحديث ، خرجت كتابة التراجم من رحم علم الجرح و التعديل ،وهو العلم الذى يخدم علم الحديث [٢] وقد تعددت التراجم العربية وتنوعت في تناول ترتيب الأعلام للعلماء والفقهاء المترجم لهم ،إلا أنها تتفق في مضمونها والذى يدور حول تحقيق الاسم ، والوفاة، والمولد، وضبط الأعلام وتحقيق المتشابه ، والإشارة إلى حياتهم العلمية، وذكر آثارهم وأشعارهم، ومؤلفاتهم ، كما تذكر –أيضا– شيوخهم والأماكن التي زاروها، ومن ثم فإن التراجم كافة وعلى

(١) (البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، صحيح البخاري، باب وفود الأنصار إلى النبي بمكة، رقم٣٨٩٢، ص٩٥٣. ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦١٠-٦١٤. ج٣، ص ١٤٨- ١٥١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص٦٤٩ ،٦٦٢، ٦٧٤).

(٢)(عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة،٢٠٠٢، ص٢٠٢).

الرغم من تنوعها واختلافها إلا أنها تشترك في ذكر الخصائص الخلقية والعلمية للعلم المترجم له.(١)

وللضياء المقدسي عدد من المؤلفات في التراجم، منها كتاب: أحوال الإمام الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن نصر المقدسي، وقد اعتنى الضياء بذكر تاريخ مولده، ووفاته وذكر شيوخه، وجمع طرفاً من أحوال خاله الشيخ الزاهد أبي عمر محمد، فضائله ومناقبه، وما يُروى عنه من أخبار جهاده ضد الصليبيين في دمشق، وذكر عبادته، وأوراده، وكراماته، وما رؤى له بعد موته، كما ذكر بعضاً من شعره، وما قيل في رثائه. وفيما يلي نعرض بعض الأمثلة:

يقول الضياء في كتاب " أحوال الإمام الزاهد أبي عمر":

[مولده]: سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بجُمَاعيل، شاهدته بخط والده أحمد رحمه الله

[وفاته]: ووفاته عشية يوم الاثنين، الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة سبع وستمائة، بجبل قاسيون ظاهر دمشق، وبهذا الجبل دفن.

[ذكر شيوخه]:

سمع الحديث الكثير بدمشق، ومصر، فسمع بدمشق والده، وأبا المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن هلال الأزدي، وأبا تميم سلمان بن علي بن عبد الرحمن الرحبي ثم الدمشقي، وأبا الفهم عبد الرحمن بن عبد

(١) عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص٢٠٢.

العزيز الأزدي، وأبا نصـــر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي، وخلقاً يطول ذكرهم". (١)

وكذلك يقول الضـــياء :" ســـافرت مرة مع خالي الإمام أبي عمر إلى الغزاة، فبتنا عند قرية، فأراد بعضنا أن يسهر ويحرسنا، فقال له الشيخ: نم، وقام هو يصلي". (٢)

وللضياء –أيضاً– مخطوط بعنوان:" الحكايات المقتبسة في كرامات مشايخ الأرض المقدسة"، ترجم فيه الضياء للمشايخ المشهورين في بيت المقدس من الرجال والنساء، ممن عاصرهم أو عاصر أبنائهم وأقاربهم، أوما يرويه شيوخهم أو شيوخه عنهم، وقد جمع الضياء كراماتهم وفضائلهم، ورتب تراجمه بحســـب أحرف الهجاء، ويوجد منه الجزء الثالث في المكتبة الظاهرية بخط الضياء، يبدأ بحرف الراء وينتهي بترجمة عبد الله بن حسين البادرائي. (٣)

ومن خلال ما سبق يتضح أن الضياء قد ظهر فيه ملامح المؤلف الخاصة به، بالإضافة إلى اعتماده على منهج المؤرخين السابقين عليه في كتابة التراجم، وذلك بتحقيق اسم المترجم له وتاريخ المولد والوفاة، والإشارة إلى حياته العلمية، وشيوخه وذكر آثاره وأشعاره، ومؤلفاته، وقد اتضح ذلك من خلال استعراض الأمثلة السابقة.

---

(١) (الضياء المقدسي: أحوال الإمام الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن نصر المقدسي، تحقيق عمرو بن عبد المنعم سليم، دار الضياء – طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م، ج١، ص٢٠٩).

(٢) الضياء المقدسي: المصدر السابق، ج١، ص٢١١.

(٣) المكتبة الظاهرية بدمشق، حديث ٢٤٨، وعام ١٠٣٩ (٩١ – ١٠١).

منهج الضياء المقدسي في كتب البلدان:

ينتمي كتاب "فضائل بيت المقدس" للضياء المقدسي للكتب البلدانية، ولعل المتخصص والمتابع لتاريخ بلاد الشام –وكتب التراجم خاصة– يدرك أن كتاب " فضائل بيت المقدس " لم يكن أول ما صنف في مدن وحواضر بلاد الشام والترجمة لعلمائها، وإنما سبقه في هذا النوع من الكتابة عدد من المصنفات لعلماء ومؤرخين اهتموا بهذا النوع من الكتابة التاريخية، نذكر منها على سبيل المثال كتاب " فضائل القدس" لابن الجوزي. (١)

وقد جمع الضياء فضائل هذه المدينة المقدسة، التي نشأ فيها أهله، وما ورد في شأنها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأخبار المروية بأسانيد متصلة، تؤكد المكانة العظيمة التي اختص بها الله عز وجل هذه المدينة، كما ذكر تاريخ فتحها على يد المسلمين، وإسراء النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وذكر من دخلها واستقر بها من الصحابة.

قسم الضياء الكتاب إلى موضوعات وأبواب، وفي باب " المكان الذي صلى فيه النبي–صلى الله عليه وسلم– من مسجد بيت المقدس"، يقول الضياء: "أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن أبي القاسم بن أبي شكر التميمي بأصبهان ..... عن عيسى بن سنان الشامي، عن المغيرة، عن أبيه، قال: صليت مع عمر في كنيسة يقال لها كنيسة مريم، في وادي جهنم، قال: ثم دخلنا المسجد، فقال عمر: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صليت ليلة أُسري بي في مَقدم المسجد، ثم دخلت إلى الصخرة إلى بيت المقدس، فإذا أنا بملك قائم معه آنية ثلاث، فقال يا محمد، وأشار بالآنية، قال:

(١) ابن الجوزي:(عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).

فتناولت العسل فشربت منه قليلاً، ثم تناولت الآخر فشربت منه حتى رويت، فإذا هو لبن ....". (١)

كذلك ذكر الضياء، عدداً من الروايات عن فتوح الشام، فيقول:" أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد بن أبي الفتح الحرقي في كتابه ، أن أباه أخبره قراءة عليه.....قال: وحدثني الصقعب بن زهير، عن عمرو بن شعيب، فذكر شيئاً من أمر فتوح الشام، قال: ثم أن أبا عبيدة انتظر أهل إيلياء فأبوا أن يأتوه، فأقبل إليهم حتى نزل بهم فحاصرهم حصاراً شديداً، وضيق عليهم من كل جانب، فخرجوا إليه ذات يوم، فقاتلوا المسلمين ساعة، قال: فشدَ المسلمون عليهم من كل جانب، ففروا حتى دخلوا حصنهم، وكان الذي تولى قتالهم يومئذ خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، كل واحد منهما في جانب....".(٢)

ومما سبق يتبين أن الضياء قد اتبع منهج من سبقوه من المؤلفين في وضع المصنفات المتخصصة للمدن، وجمع فضائلها في عمل خاص بها، وذكر ما ورد من شأنها من روايات صحيحة، ذُكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة.

---

(١) الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص٨٦. وكذلك السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م): الخصائص الكبرى، تحقيق حمزة النشرتي، مكتبة الأهرام، جمهورية مصر العربية،١٩٩٦م، ج١، ص ٣٥٩.

(٢) الضياء المقدسي: نفسه، ص٩٤. وكذلك ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٤٧- ٣٤٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٥٥- ٥٧.

منهج الضياء المقدسي في عرض الأحداث التاريخية:

أ-اللغة والأسلوب:

غلب على أسلوب الضياء السهولة والوضوح وعدم الغموض أو التكلف، ويمكن استنباط الملامح الخاصة بأسلوبه من خلال ما كتبه عن أخبار أسرته، وسبب وهجرتهم من قريتهم جُمَاعيل المقدسية، بسبب اعتداءات الصليبيين، ويُعرف هذا المؤلف باسم« سير المقادسة»، وهو مؤلف مفقود غير أنه وصل إلينا عن طريق كتاب " القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية" لابن طولون، جمع فيه الضياء تراجم لعدد من علماء بيت المقدس، وذكر أحوالهم وما تعرضوا له من صعاب أثناء رحلتهم إلى جبل قاسيون، كما تحدث عن تأسيسهم مدينة الصالحية، ومشاركة أفراد الأسرة الرجال والنساء منهم في نشر العلم ، وترحيب السلطان نور الدين محمود و الأهالي في دمشق بأسرة الضياء. وغير ذلك من الأخبار التي تقدم لنا معلومات مهمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لبلاد الشام تحت حكم الصليبيين، وظهور حركة المقاومة الإسلامية مع نور الدين محمود وصلاح الدين. وفيما يلي نعرض لبعض الأمثلة:

يقول الحافظ ضياء الدين:" سمعت الشيخ الكبير أبا نجم سعد الدين بن خليل بن حيدرة الحارثي بقرية دجانية، قال كنت أعرف الشيخ أحمد من جُمَاعيل، وكنت أمضي إلى عنده كثيراً، وكان يخطب يوم الجمعة، ويخرج الناس إليه من القرايا، يحضرون الجمعة، قال: فقيل لابن بارزان -لعنه الله- أن هذا الرجل الفقيه يشغل الفلاحين عن العمل، ويجتمعون عنده، قال: فتحدث في قتله، قال: فأعلم الشيخ رجل من عماله يقال له ابن

تيسير، قال: فعزم الشيخ على المضي إلى دمشق....وكان الشيخ أحمد أول من هاجر من تحت أيدي الفرنج لخوفه على نفسه، وعجزه عن إظهار دينه."(١)

ومن ذلك –أيضاً– ما يذكره الضياء عن علاقة أسرته بأهل دمشق وحاكمها نور الدين محمود، فيقول:" سمعت والدي يقول: انتقلنا إلى الجبل، وكان الناس لم يكونوا يعرفون والدي إلا بعد خروجه إلى الجبل، فكان الناس يأتونه ويزورونه، ويهدون إليه، وكان السلطان نور الدين يأتي إلى زيارته". (٢)

ب–استخدامه بعض الجمل الدُعائية وعبارات الحمد والمشيئة:

وقد استعان الضياء المقدسي ببعض الجمل الدعائية، وعبارات المشيئة والحمد، والجمل الاعتراضية كقوله: رضى الله عنه، رحمه الله، لعنه الله، وغير ذلك من الجمل، وذلك على نحو قوله:" قال: فقيل لابن بارزان –لعنه الله– أن هذا الرجل الفقيه يشغل الفلاحين عن العمل، ويجتمعون عنده، قال: فتحدث في قتله...."."(٣)

وكذلك قوله:" وسمعت والدتي أم أحمد رقية بنت الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة –أحسن الله جزاءها– قالت: سافر والدي إلى دمشق في رجب...."."(٤)

---

(١) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٢٧، ٢٨.

(٢) ابن طولون: المصدر السابق، ص٣٨.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) ابن طولون: الصدر السابق، ص٢٨).

ج-الاستشهاد ببعض آيات القرآن والأحاديث الشريفة:

وفى بعض الأحيان لجأ الضياء إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد ظهر ذلك بوضوح في كتابه " نصيحة الملك الأشرف"(١) فقد وجه الضياء النصيحة لحاكم دمشق الملك الأشرف موسى بن الملك العادل(٥٩٨- ٦٣٥ هـ/ ١٢٠١-١٢٣٧م) (٢)، وذكره بنعم الله وفضله، وواجب الحاكم تجاه الرعية، وهو العدل والانصاف، وحثه على رفع المظالم، وإقامة الحدود، والنظر في أمر السجون، ورفع الظلم عن المسجونين، وقد استشهد الضياء بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك يقول الضياء: :" إن بهذه البلد أشياء لا يحل فعلها، مثل خمَار الخمور(٣)، ودار الطُعم(٤)، وما يؤخذ على الغالة وسوق الغنم، وشبه هذا كله، وهذه الأشياء -وإن كثُرت- فإن أخذها يضُر في ذمة آخذيها، وتبقى تبعيتُها

---

(١) تحقيق: علي حسن على عبد الحميد الحلبي، القاهرة، د.ت.، ص٢٣٨، ٢٣٩. وطبعة أخرى تحقيق محمد مطيع الحافظ، طبع ضمن كتاب "دار الحديث الضيائية ومكتبتها بصالحية دمشق"، دار البيروتي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

(٢) وهو أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب (٥٩٨- ٦٣٥ هـ/ ١٢٠١-١٢٣٧م)، ولد بالقاهرة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، وكان حاكماً على مدينة الرها، ثم أضيفت إليه حران عقب وفاة أخوه نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين، وبسط العدل على الناس وأحسن إليهم، وبنى بدمشق دار حديث، فوض تدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح. ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث، جمهورية مصر العربية،١٩٧٥، ج٥، ص ١٣٧- ١٤٥.

(٣) أي الذي يصنع الخمر.

(٤) جامعي الضرائب.

عليه، ويُمحق عليه بما يملكُه أكثر منها، وليس فيها بركة، قال الله تعالى:" قل لا يســـتوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون"(١).

وقال النبي–صـلى الله عليه وسـلم–" الحلال بيَن والحرام بيَن وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضـــه، ومن وقع في الشـــبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشـــك أن يخـالط الحمى، ألا وإن لكـل ملـك حمى، وحمى الله محارمه". (٢)

<u>د–الاستشهاد بالأقوال المأثورة من الكتب السماوية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم:</u>

وفي أحيان قليلة يعتمد الضـــياء على أقوال مأثورة من الكتب الســـماوية، ويقال إنها وردت في بعض الروايات عن النبي –صـــلى الله عليه وســـلم– ومن ذلك قول الضـــياء: وروي عنه– صـــلى الله عليه وســـلم– "في بعض الكتب التي أنزلها الله على بعض أنبيائه–صـــلى الله عليهم وســـلم – أيها الملك المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضـــها على بعض،

(١) سورة المائدة، آية ١٠٠.

(٢) البخاري: صـــحيح البخاري، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين، رقم الحديث ٢٠٥١، ص٤٩٤، ٤٩٥.

ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها، ولو كانت من كافر"[١].

ويتضح من خلال وصية الضياء للملك الأشرف ما اتصف به الضياء من جرأة وشجاعة في قول الحق، ولم يمنعه من ذلك مكانة الملك الأشرف وكونه حاكم دمشق، عن توجيه النصح والإرشاد إليه، واتباع العدل والانصاف مع رعاياه.

د-منهج النقد في الكتابة التاريخية عند الضياء المقدسي:

من الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للكتابة التاريخية أن يكون ناقداً قادراً على التمييز بين المقبول والمردود من الروايات، وذلك ما يسمى بنقد الرواية وفحصها [٢]، فليست مهمة كاتب التاريخ أن يكون ناقلاً، وإنما لابد

---

(١) الضياء المقدسي: كتاب النصيحة للملك الأشرف، ص٢٤٠. المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري ت ٦٥٦ هـ/١٢٠٩م): ضعيف الترغيب والترهيب، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م، ص ١٣٥٢.

(٢) المقصود بنقد الدراهم وانتقدها إذا اخرج منها الزيف، وناقدت فلاناً إذ ناقشته في الأمر وينطبق المعنى اللغوي على النقد التاريخي، فأيضاً نقد الرواية أى فحصها ووزنها وإخراج الزيف منها لمعرفة صحتها، حتى يمكن الاعتماد عليها كمصدر من المصادر التاريخية. المعجم الوسيط، ص ٩٤٤. الرازى (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت: ٦٦٦هـ/١٢٦٧م): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص٢٨١. محمد عبد الوهاب فضل: التاريخ وتطوره في ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ٥١.

أن يفحص الرواية التاريخية ويدققها ويتأكد من صحتها وصدقها قبل أن ينقلها، وعلى ذلك فيجب على المؤرخ أن يتحرى الدقة والأمانة والصدق في الحديث [١]. ويذكر علماء التاريخ أن منهج النقد يقوم على الحذر والشك في الروايات، ثم فحصها واستخلاص الحقيقة منها بإعمال النقد في كل ما يقع تحت يده من الروايات [٢]. وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة:

-عرضه الآراء المتباينة وقوله " الله أعلم":

عندما تعرض الضياء لذكر أعداد الذين هاجروا من قرية جُمَاعيل وبيان أسمائهم، وجد اختلافاً في الروايات، فيما سمعه من والدته، عما سمعه من خاله أبو عمر، فقال الضياء :" سمعت خالي الإمام أبا عمر محمد يقول: كنا أربعين نفساً، قال: وأظن خالي -رحمه الله- أراد بالأولاد الذين كانوا معهم، فإن والدتي لم تسم إلا من وصل معهم إلى دمشق، قال: وقد قال خالي: كان معنا جماعة من الأولاد، ولعلهم رجعوا من بعض الطريق لما أمنوا، والله أعلم". [٣]

ومجمل القول، ومن خلال الضوابط والشروط التي وضعها العلماء لمن يتصدى للكتابة التاريخ، يمكن القول أن الضياء المقدسي يعتبر ناقلاً وناقداً

---

(١) محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دارابن الجوزي، الطبعة الأولى،١٤٢٩، ص٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد ارحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص١١٨. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة الثامنة،١٩٦٣، ص ٨٣.

(٣) ابن طولون: القلائد الجوهرية، ص٣٠.

في آن واحد، وقد ظهر ذلك جلياً في العديد من كتاباته التاريخية، مثل "سبب هجرة المقادسة إلى دمشق"، وكرامات المشايخ، أو حكايات مشايخ الأرض المقدسة"، وكذلك كتاب النصيحة "للملك الأشرف".

الضياء المقدسي في الميزان:

ومما سبق يتبين إسهامات الضياء المقدسي في الكتابة التاريخية، وذلك بما قدمه من مؤلفات في التاريخ والسير والتراجم. وقد اتبع الضياء المنهج الموضوعي، وتأثر بمنهج المحدثين في عرض الرواية التاريخية، وذلك برواية كل خبر مسنداً إلى شيخه الذي أخذ عنه، مع تحديد البلد الذي سمعه فيه، وفي نهايتها يُخرج الأحاديث إلى الكتب الحديثية، وهي طريقة مهمة في توثيق رواياته التي توافقت مع المصادر التاريخية.

كما اتصف الضياء بالأمانة العلمية، والحيادية والموضوعية في نقل الرواية التاريخية، فقدمها كما وصلت إليه وسمعها من شيوخه، أو من أهله وأفراد أسرته، وتأتي أهمية كتابات الضياء التاريخية، بما تضمنته من معلومات مهمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لبلاد الشام عامة، ومدينتي دمشق، وبيت المقدس خاصة، في النصف الثاني من القرن السادس، والنصف الأول من القرن السابع الهجري.

الخاتمة...

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد...

فمن خلال الدراسة السابقة تم التوصل إلى عدة أمور، نذكرها فيما يلي:

١-أكدت الدراسة على قيمة الضياء المقدسي ومكانته العلمية، فقد أشاد المؤرخون وكتاب التراجم، بغزارة مؤلفاته، الحديثية والتاريخية.

٢-اشتهرت الرحلة العلمية في تلك الفترة، فتعددت رحلات الضياء لبلاد المشرق، وزار عدداً من مدن العلم ومراكزه.

٣-على الرغم من تميز الضياء كمحدث وفقيه، إلا أنه -أيضاً- أثبت عن جدارة كونه مؤرخاً وبهذا يعد من مؤرخي بلاد الشام، وذلك بما قدمه لنا عن تاريخ الصالحية، وهجرة المقادسة، والتأريخ لهم وكتابة تراجمهم.

٤-تأتي أهمية كتابات الضياء التاريخية، بوصف كونه شاهد عيان لأحداث تاريخية مهمة، صاحبت الوجود الصليبي في بلاد الشام.

٥- شارك كلاً من نور الدين محمود، وصلاح الدين في النهوض بالحياة الثقافية، وبناء المدارس، والتقرب إلى العلماء، وحضور مجالسهم، والاستماع إلى دروسهم.

٦-أكدت هذه الدراسة على سعة علم الضياء، وكثرة شيوخه، واطلاعه ورحلاته العلمية لبلاد المشرق والحجاز، وقد ظهر هذا جلياً من خلال تعدد مصنفاته..

٧-أظهرت هذه الدراســـة أن العلوم والمعارف دائماً ما تنمو وتزدهر من خلال اهتمام وتشـــجيع الحكام، الذين كانوا يعتنون ويهتمون بالعلم وطلابه، ولا يدخرون جهداً في إقامة المدارس وحبس الأوقاف للصـــرف عليها.

٨-ألقت الدراســة الضــوء على الضــياء وأســرته، كنموذج للعلماء المجاهدين في ســبيل الله، وذلك بمشــاركة أعداد منهم في اســترداد بيت المقدس.

٩-أظهرت الدراسة النبوغ العلمي لأسرة الضياء من النساء، فظهر منهن العدد الوافر من الحافظات والفقيهات، والمحدثات.

١٠-للضياء إسهامات في مجال الكتابة التاريخية، وقد اتبع في ذلك المنهج الموضوعي.

١١-تأثر الضياء بمنهج المحدثين في عرض الرواية التاريخية وذلك برواية كل خبر مسنداً إلى شيخه الذي أخذ عنه.

المصادر والمراجع

أولاً المصادر

-القرآن الكريم

-السنة النبوية

ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشـــيباني ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)

١-الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوســـف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

البخاري (محمد بن إســـماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)

٢-صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢ م.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبس المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م)

٣-النجوم الزاهرة في ملوك مصـــر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصـــرية، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

ابن الجوزي:(عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشـــي البغدادي، أبو الفرج ت ٥٩٧ هـ)

٤-فضائل القدس، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد على بن ثابت بن أحمد بن مهدى ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م)

٥-الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، دمشق، الطبعة الأولى،١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م)

٦- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م)

٧-ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)

٨-تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩- تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ

١٠-سير أعلام النبلاء، تحقيق حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

١١-العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بسيوني زعلول، دار صادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ١٩٨٥م.

سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن عبد الله ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

١٢- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد ارحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

١٣-الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م)

١٤-الخصائص الكبرى، تحقيق حمزة النشرتي، مكتبة الأهرام، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٦.

ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

١٥-فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس،دار صادر، بيروت، د.ت.

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)

١٦-الذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٧-الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧هـ.

ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بهاء الدين بن شداد ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

١٨-النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق كمال الدين الشيال، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥، ١٩٩٤م.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

١٩-تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٢.

٢٠ -الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الضياء المقدسي (محمد عبد الواحد بن أحمد المقدسي ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)

٢١-أحوال الإمام الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق عمرو بن عبد المنعم سليم، دار الضياء، طنطا، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢- ثبت مسموعات الإمام الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٢٣-صفة النبي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٤-فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى،١٤٠٥هـ.

٢٥- مناقب جعفر بن أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٢٦-النصيحة للسلطان موسى الأشرف الأيوبي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، طبع ضمن كتاب "دار الحديث الضيائية ومكتبتها بصالحية دمشق"، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م. وطبعة أخرى: دار البيروتي الطبعة الأولى تحقيق: علي حسن على عبد الحميد الحلبي د.ت.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

٢٧- تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.

ابن طولون (محمد بن طولون الصالحي ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

٢٨-القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله بن العديم الحلبي الحنفي ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)

٢٩-زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.

العماد الحنبلي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م)

٣٠- شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٣١-البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)

٣٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادرت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٣٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، جمهورية مصر العربية، ١٣٢٦هـ.

المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري ت ٦٥٦ هـ/١٢٠٩م)

٣٥-ضعيف الترغيب والترهيب، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ هـ / ٢٠٠٠ م.

أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله بن مهران بن أحمد بن إسحاق ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)

٣٦-دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م)

٣٧-الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الهمذاني (رشيد الدين فضل الله ت (٧١ ٨هـ /١٣١٨م)

٣٨-جامع التواريخ، تحقيق فؤاد عبد المعطي الصـــياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

-الهيثمي (علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري الشافعي ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)

٣٩-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية،١٤٣٦هـ/٢٠١٥.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

٤٠- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث، جمهورية مصر العربية،١٩٧٥.

ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)

٤١-معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صـادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع

إبراهيم أنيس وآخرون

٤٢-المعجم البسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠

بشار عواد معروف

٤٣-الذهبى ومنهجه في كتابة تاريخ الإســـلام، مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

حسن عثمان

٤٤-منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة الثامنة،١٩٦٣.

السيد عبد العزيز سالم

٤٥- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والاثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١١م.

مجمع اللغة العربية

٤٦- المعجم الوجيز: جمهورية مصر العربية، ١٩٨٩.

محمد أحمد ترحينى

٤٧- المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

محمد بن صامل السلمى

٤٨-منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

محمد عبد الغنى حسن

٤٩- السير والتراجم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.

محمد مطيع الحافظ

٥٠- جامع الحنابلة المظفري، البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

عبد الحليم عويس

٥١-ابن حزم الأندلسى وجهوده في البحث التاريخى والحضارى، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة،٢٠٠٢.